سورة الأحزاب

سورة الأحزاب
سورة الأحزاب

قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا» (الأحزاب: ٥٣).

إعداد د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فضائل الحجاب ومضارُّ الاختلاط

يُنَظِّمُ الله تعالى في هذه الآيات علاقةَ المُسلمينَ ببُيوتِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم وبنسائه أُمَّهاتِ المُؤمنينَ، في حياته وبعدَ وفاته، ويُواجِهُ حالةً كانتْ واقعةً، إذْ كانَ بعضُ المُنافقينَ والَّذينَ في قُلوبهم مَرَضٌ يُؤذُونَ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم في بُيوته وفي نسائه، فيُحذِّرُهُمْ تحذيرًا شديدًا، ويُريهِمْ شَناعةَ جُرمِهِمْ عندَ الله وبَشاعتَهُ، ويُهدِّدُهُمْ بعلْمِ الله بما يُخفُونَ في صُدورِهِمْ منْ كَيْدٍ وشرٍّ.

متى نزلتْ آيةُ الحجاب؟

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَرُوسًا بِزَيْنَبَ، فَقَالَتْ لِي أُمُّ سُلَيْمٍ: لَوْ أَهْدَيْنَا لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هَدِيَّةً، فَقُلْتُ لَهَا: افْعَلِي، فَعَمَدَتْ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ فَاتَّخَذَتْ حَيْسَةً فِي بُرْمَةٍ، فَأَرْسَلَتْ بِهَا مَعِي إِلَيْهِ، فَانْطَلَقْتُ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لِي: ضَعْهَا. ثُمَّ أَمَرَنِي فَقَالَ: ادْعُ لِي رِجَالًا، سَمَّاهُمْ، وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ. قَالَ: فَفَعَلْتُ الَّذِي أَمَرَنِي. فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ وَتَكَلَّمَ بِهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً، يَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَقُولُ لَهُمْ: اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ. قَالَ: حَتَّى تَصَدَّعُوا كُلُّهُمْ عَنْهَا، فَخَرَجَ مِنْهُمْ مَنْ خَرَجَ وَبَقِيَ نَفَرٌ يَتَحَدَّثُونَ، قَالَ: وَجَعَلْتُ أَغْتَمُّ، ثُمَّ خَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَحْوَ الْحُجُرَاتِ، وَخَرَجْتُ فِي إِثْرِهِ، فَقُلْتُ: إِنَّهُمْ قَدْ ذَهَبُوا فَرَجَعَ، فَدَخَلَ الْبَيْتَ وَأَرْخَى السِّتْرَ وَإِنِّي لَفِي الْحُجْرَةِ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

Upload by : altawhedmag.com

لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق» (الأحزاب: ٥٣). (صحيح البخاري: ٥١٦٣).

من مناقب عمر رضي الله عنه:

وهذه الآية من موافقات عمر -رضي الله عنه-، كما ثبت في الصحيحين عنه أنه قال: «وافقت الله في ثلاث. قلت: يا رسول الله لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى؟ وقلت: يا رسول الله! يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؟ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه، فدخلت عليهن، قلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله صلى الله عليه وسلم خيرا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه، قالت: يا عمر! أما في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت! فأنزل الله «عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن» (التحريم: ٥). (صحيح البخاري: ٤٤٨٣).

والآية تتضمن آدابا لم تكن تعرفها الجاهلية في دخول البيوت، حتى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان الناس يدخلون البيوت بلا إذن من أصحابها، كما سبق في سورة النور. وربما كان هذا الحال أظهر في بيوت النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن أصبحت هذه البيوت مهبط العلم والحكمة، وكان بعضهم يدخل وحين يرى طعاما يوقد عليه يجلس في انتظار نضج هذا الطعام ليأكل بدون دعوة إلى الطعام، وكان بعضهم يجلس بعد الطعام -سواء كان قد دعي إليه أو هجم عليه دون دعوة- ويأخذ في الحديث والسمر، غير شاعر بما يسببه هذا من إزعاج للنبي صلى الله عليه وسلم وأهله. وفي رواية أن أولئك الثلاثة الرهط الذين كانوا يسمرون كانوا يفعلون هذا وعروس النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش جالسة ووجهها إلى الحائط، والنبي صلى الله عليه وسلم يستحيي أن ينبههم إلى ثقلة مقامهم عنده حياء منه، ورغبة ألا يواجه زواره بما يخجلهم، حتى تولى الله سبحانه عنه الجهر بالحق: «والله لا يستحيي من الحق» (الأحزاب: ٥٣).

إيجاب الاستئذان للدخول على النبي صلى الله عليه وسلم:

فقوله تعالى: «لا تدخلوا بيوت النبي» حظر على المؤمنين أن يدخلوا منازل رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير إذن، كما كانوا قبل ذلك يصنعون في بيوتهم في الجاهلية وابتداء الإسلام، حتى غار الله لهذه الأمة فأمرهم بذلك، وذلك من إكرامه تعالى لهذه الأمة، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والدخول على النساء. فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت». (صحيح البخاري: ٥٢٣٢).

النهي عن دخول المدعو قبل الوقت:

ثم استثنى الله من ذلك فقال تعالى: «إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه»: قال مجاهد وقتادة وغيرهما رحمهم الله: أي غير متحينين نضجه واستواءه، أي لا ترقبوا الطعام إذا طبخ، حتى إذا قارب الاستواء تعرضتم للدخول، فإن هذا مما يكرهه الله ويذمه. (تفسير القرآن العظيم: ٥٠٥/٣).

وقال ابن عطية رحمه الله: كانت سيرة القوم إذا كان لهم طعام وليمة أو نحوه أن يبكر من شاء إلى الدعوة ينتظرون الطعام ونضجه. كذلك إذا فرغوا منه جلسوا كذلك، فنهى الله تعالى المؤمنين عن أمثال ذلك في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ودخل في النهي سائر المؤمنين، والتزم الناس أدب الله تعالى لهم في ذلك، فمنعهم من الدخول إلا بإذن عند الأكل، لا قبله لانتظار نضج الطعام. (المحرر الوجيز: ٣٩٥/٤).

وقوله تعالى: «ولكن إذا

Upload by : altawhedmag.com

دُعيتُم فادْخُلوا» أي: ادْخُلوا على وجه الأدب، وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكْروهة، وتقدير الكلام: إذا دُعيتُم فأذن لكُم فادْخُلوا، وإلا فنفس الدعوة تكون إذنًا كافيًا في الدُّخول. (الجامع لأحكام القرآن ابن العربي: ٣/١٥٧٧).

قال الرازيُّ عفا الله عنه: وفي قوله تعالى: «ولكن إذا دُعيتُم فادْخُلوا» لطيفة: وهي أن في العادة إذا قيل لمن كان يعتاد دُخول دار من غير إذن: لا تدْخُلها إلا بإذن، فإنه يتأذى وينقطع بحيث لا يدْخُلها أصلا، لا بالدعاء ولا بغير دعاء، فقال الله تعالى: لا تفعلوا مثل ما يفعله المستكفون، بل كونوا طائعين سامعين، إذا قيل لكم لا تدْخُلوا لا تدْخُلوا، وإذا قيل لكم ادْخُلوا فادْخُلوا. (التفسير الكبير: ٢٥/٢٢٥).

النهي عن التأخر عن الموعد المحدد:

وعطف الدُّخول على الدعوة بالفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب فيه إشارة إلى النهي عن التأخر عن الموعد المحدد، فكما أنه لا يجوز الدُّخول قبل الوقت لما فيه من أذية أهل البيت، كذلك لا يجوز التأخر عن الموعد لأنه يشق على أهل البيت والحاضرين، ويجعل الجميع في قلق من طول الانتظار.

وجوب إجابة الدعوة:

وقوله تعالى: «إلا أن يؤذن لكم» يفيد الجواز، وقوله تعالى: «ولكن إذا دُعيتُم فادْخُلوا» يفيد الوجوب (التفسير الكبير ٢٥/٢٢٥). فإجابة الدعوة واجبة، وقد أكد على ذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقال: «من دُعي إلى عُرس أو نحوه فليُجب». (صحيح مسلم: ١٤٢٩).

وعن عبد الله بن عمر-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجيبُوا هذه الدعوة إذا دُعيتُم لها». قال نافع: وكان عبد الله بن عمر يأتي الدعوة في العُرس وغير العُرس، ويأتيها وهو صائم» (صحيح البخاري: ٥١٧٩). وعن جابر-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من دُعي فليُجب، فإن شاء طعم، وإن شاء ترك» (صحيح مسلم: ١٤٣١). وعد النبيُّ صلى الله عليه وسلم عدم إجابة الدعوة معصية، فقال صلى الله عليه وسلم: «ومن لم يُجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله». (صحيح البخاري: ٥١٧٧).

النهي عن الجلوس بعد الطعام:

ولما نهى الله تعالى عن الدُّخول قبل الموعد، وعن التأخر عنه، نهى عن الجلوس بعد الطعام لأن فيه أذية لأهل البيت، فقال تعالى: «فإذا طعمتُم فانتشروا»، فأمر سبحانه وتعالى بعد الإطعام بأن يتفرق جميعهُم وينتشروا، والمراد إلزام الخروج من المنزل عند انقضاء المقصود من الأكل.

وقوله تعالى: «ولا مُستأنسين لحديث» عطف على قوله تعالى: «غير ناظرين إناه»، أي غير ناظرين ولا مُستأنسين، والمعنى المقصود: مُستأنسين بالحديث، كما فعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب. (الجامع لأحكام القرآن: ١٤/٢٢٦و٢٢٧).

فإن قيل: هل الجلوس بعد تناول الطعام حرام؟

فالجواب: دلَّ قوله تعالى: «فإذا طعمتُم فانتشروا» على ضرورة الخروج بعد تناول الطعام، وهذا من الآداب الإسلامية التي أدَّب الله بها المؤمنين، فالمكث والجلوس بعد تناول الطعام ليس بحرام، ولكنه مخالف لآداب الإسلام، لما فيه من الإثقال على أهل البيت، إلا إذا كان الجلوس بإذن صاحب الدار، ولا سيما إذا كان يستأنس بإخوانه، ويفرح ببقائهم عنده. (روائع البيان: ٢/٣٥١).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

Upload by : altawhedmag.com